المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
العدد العاشر/ الجزء الثاني كانون الأول 2021

الحج واثره الاقتصادي والاجتماعي والديني على رحلات الحج على السودان .

Hajj and its economic, social and religious impact on the pilgrimage trips to Sudan.

د حنان عبدالرحمن عبدالله التجاني.
جامعة نيالا /كلية التربية/ قسم التاريخ /استاذ مشارك.
ايميل hananabdo5566@gmail.com

د حليمة عبدالرحمن بكر صندل.
جامعة الفاشر / كلية الآداب / قسم التاريخ / استاذ مشارك.
ايميل haleemasundal2020@gmail.co

الملخص.

يتمتع السودان بموقع استراتيجي يربط بين القارتين الإفريقية والآسيوية ويجاور عدد من الدول مما جعل السيطرة على حدوده أمرا صعباً للغاية ،وقد أدى ذلك إلى دخول هجرات متعددة و اثنيات متباينة في فترات زمنية مختلفة على مر العصور. سهل عملية الهجرة الى السودان لعدم وجود عوائق طبيعية تحول دون ذلك من الشمال او الشرق او الغرب ، علاوة على حفاوة المجتمع السوداني وتقبله للوافدين الجدد مما سهل عملية انصهارهم وتمازجهم في المجتمعات السودانية .وكان اكثر هذه الهجرات دخولا الى السودان الهجرات الدينية القادمة من الغرب والهجرات التجارية اضافة الى الهجرات الصغيرة التي تبحث عن وطن مثالي

او أرض صالحة للزراعة و الرعي ،فكان هدف المهاجرين من الغرب لأداء المناسك اولا ثم الاستقرار في ارض الشروق (السودان) كما يسمونه ، بجانب اهداف اخرى منها الاقتصادية ، وقد اثرت هذه الهجرات في التركيبة السودانية وزاد في التنوع القبلي في السودان، مما كان لها الأثر الاعمق في الجانبين الاقتصادي والاجتماعي والديني .

الكلمات المفتاحية : **الحج واثره الاقتصادي والاجتماعي والديني، السودان** .

Abstract.

sudan enjoys a strategic location linking the African and Asian continents and is adjacent to a number of countries, which made .controlling its borders very difficult

To the entry of multiple migrations and different ethnicities in different periods of time over the ages. Facilitated the process of immigration to Sudan, as there are no natural obstacles to prevent it from the north, east or west, in addition to the warmth and acceptance of Sudanese society for new arrivals, which facilitated the process of their assimilation and blending in Sudanese societies. Most of these migrations entered Sudan were religious migrations coming from the West and commercial migrations. In addition to small migrations looking for an ideal homeland or land suitable for agriculture and grazing. Besides other goals, including economic ones, these migrations affected the Sudanese structure and increased the tribal diversity in

Sudan, which had the most profound impact on the economic, social and religious aspects.

Keyword; Hajj and its economic, social and religious, Sudan.

مقدمة :

الحج مؤتمر عالمي إسلامي يجتمع إليه المسلمون من كل بقاع العالم مهاجرين لله من كل حدب وصوب ليجتمعوا في بقعة واحدة متجهين إلى قبلة واحدة ونداءهم بالتلبية واحداً لأنهم يؤدون منسكاً واحداً ، متساون لا فرق بينهم رغم إختلاف الوانهم والسنتهم ومقاماتهم ، فالحج يحقق قمة المساواة الانسانية بين كافة الحجيج ، والحج مدرسة ربانية للتآلف والوحدة والتعايش تحت ظل راية الإسلام السمحة .

إن موقع السودان الجغرافي وامتداده السياسي جعله من أكثر الأقطار تاثراً بالهجرة السكانية في أطرافه المختلفة ، فالسودان ثمرة تلاقح وجسر وممر للقبائل الافريقية . في الواقع أن السودان حاضنة أفريقيا ، بسماحته وسهوله العيش فيه هو وليد بيئات متعددة ، لذلك ظل السودان طوال تاريخه الطويل قبلة للمهاجرين ، سواء من الشرق أو الشمال أو الغرب ، وكان معبراً لقوافل الحجيج والتجار ، وفيه تمازجت الثقافات والحضارات العربية والإسلامية والإفريقية ، حيث وجدوا فيه الملاذ والأمان كما وجد فيه الكلأ والمرعي ، والمياه الوفيرة ، والمراعي الخصبة ، وظلالاً وارفة يقيء من وهج الشمس نظرا لموقعه الجغرافي وامتداد حدوده وواقع سكانه الاجتماعي والسياسي مما جعله من أكثر الاقطار تاثراً بالهجرة السكانية في أطرافه المختلفة ونخص هنا هجرة القبائل والمجموعات التي تعبر السودان منذ القدم بغرض الحج وهي التى لها جذور عميقة وقديمة في السودان، مما كان له الأثر الكبير في الجوانب الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتى بدورها أدت لاندفاع هذه الهجرات إلى بقاع السودان المختلفة خاصة في غربه وشرقه ووسطه .

وقد لعب البحر الأحمر لقرون عديدة دوراً كبيراً كطريق أو معبر للملاحة بين الشرق والغرب ، حيث أن الهجرات العربية من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الافريقي الشرقي كانت بغرض التجارة والتعدين ، ثم تمتعت مدن البحر الأحمر بحركة نشطة لذلك أمها قوافل التجارة من الشمال والشرق والغرب وصارت مراكز تجارية مهمة ونقاط لتجمع الحجيج القادم من سودان وادي النيل وبلاد الغرب الافريقي وإفريقياً شمال الصحراء ،. وإزدادت أهمية البحر الأحمر في القرن التاسع عشر عندما صارت موانيه تابعة للأمبراطورية العثمانية وبذلك *إزدادت* أهمية موانى سواكن ومصوع وصارت قواعد عثمانية في البحر الأحمر . ولأهمية البحر الأحمر،ارتبط بالتسابق الاستعماري الاروبي للقارة الافريقية في القرن التاسع عشر الميلادي وذلك لأهميته الاستراتيجية في التجارة الدولية بين بلاد الشرق وأفريقيا ودول البحر المتوسط . وبعد حفر قناة السويس في العام 1869م إرتاد الحجاج طريق سيناء الى الاماكن المقدسة ،لكن رغم ذلك فالسودان النيلي ظل معبر للحجيج من شتى العالم وعلى مر العصور.

مشكلة البحث :

ضرورة جمع المعلومات الموثقة عن حركة قوافل الحجيج و اظهار اسهاماتها الكبيرة التي تحسب اثرها الايجابي على السودان .

أسئلة البحث :

هل كانت لحركة الحجيج اثر على السودان من النواحي(الاقتصادية ، السياسية الدينية و الاجتماعية) ؟

ماهي الفوائد التي عادت للحجيج القادمين من خارج السودان خلال عبورهم السودان؟

الى أي مدي استطاعت قوافل الحج أن تخلق علاقات اجتماعية بينها وبين منطقة العبور (السودان) ؟

اهداف الورقة واهميتها :

تهدف الورقة الي :

1. ابراز الاثار الاقتصادية ، الدينية ، الاجتماعية و السياسية لحركة الحجيج المنعكسة على السودان .

2. تأكيد أن السودان كان جسر للتواصل ومعبر للحجاج القادمين من غرب إفريقيا .

تكمن اهمية الورقة في انها تضيف الى الدراسات السابقة اهمية الحج من النواحي الاخرى خلاف المنفعة الدينية .

المنهج :

أُتبع المنهج التحليلي الوصفي .

محاور الورقة :

أ . الاثر الاجتماعي للحج في السودان

ب . الاثر الديني

ج . الاثر الاقتصادي

د . الاثر السياسي

هيكل الورقة :

العنوان

مستخلص

مقدمة

مشكلة البحث

ISSN: 2709-5312

اهداف الورقة واهميتها

المنهج

الخاتمة

النتائج والتوصيات

قائمة المراجع

المحور الاول

الأثر الاجتماعي للحج والعمرة

يجتمع المسلمون في شهر ذي الحجة[1] في كل عام من كل بقاع العالم لأداء فريضة الحج ويحققوا من وراء ذلك منافع روحية وجسدية واجتماعية واقتصادية كثيرة في تماسك ووحدة كبيرة بين المسلمين لأنهم أمة واحدة اجتمعت لنفس الغرض فتتبني العلاقات الاجتماعية السليمة بين الأمة بمختلف جنسياتهم والسنتهم وتقوى أواصر المحبة والتآلف بينهم فيحققون مكاسب روحية واجتماعية كبيرة ، وأهم الأثار الاجتماعية المترتبة على الحج هي:

1-التعارف والتعاون بين الحجيج بمختلف جنسياتهم

2-التماسك والتوحد بين الحجيج المسلمين كأمة واحدة

3-الحج يتيح فرصة للمسلم ليشهد أعظم مؤتمر شورى إسلامي في الأرض في مساوة تامة بين البشر.

4-الحج يبني العلاقات الاجتماعية السليمة في مختلف انماط وضروب المجتمعات على أساس الارتباط بالله تعالى بلا تميز(1)

1- محمد العوض جلال الدين واخرون ، الهجرة الوافدة الى والهجرة الداخلية الى الخرطوم (د، ت) ص91.

5- إصلاح المجتمعات وتقوية العلاقات واشاعة المحبة والسلام والعدل والمساواة بين الناس وتوثيق الجوانب الاجتماعية والاقتصادية بين سكان وادي النيل وتجارشرق أفريقيا . الذين وفدوا إلى سودان وادي النيل للتجارة و نشر الدعوة مع العلماء اما تاريخ رحلات الحجيج والآثار المترتبة عليها في الماضي ، فقد أصبح سودان وادي النيل المعبر الرئيسي للحجاج المسلمين القادمين من أقصى بلاد الغرب الافريقي ويرافق قوافل الحجيج القادمة من مورتانيا والسنغال ونيجيريا وغيرها العلماء والتجار والحرفين وطلاب العلم متجهين شرقاً إلى سودان وادي النيل وسواحل البحر الاحمر أو من حوض بحر تشاد الى اسيوط مصر ومنها إلى سواحل البحر الأحمر (2)

أصبحت المحطات التي يمر بها الحجيج من سودان وادي النيل جاذبة أو من تشاد عبر دارفور إلى كردفان ثم إلى أم درمان ومنها إلى سواكن وميناء مصوع ومنها مباشرة إلى جدة ، وكانت للقوافل مراكز صغيرة لأستراحة القوافل فحدث إستقرار لهؤلاء المهاجرين وذلك بغرض العمل أوالتجارة ، ثم مواصلة سيرهم نحو البيت الحرام لذلك كانت الرحلة تستغرق عامين أو أكثر للوصول إلى مكة ، وربما تستغرق الرحلة عشرة سنوات أو أكثر ذهاباً وإياباً لأن بعض هؤلاء الوافدين كانوا يهاجرون بأسرهم كاملة ، وربما تتحول تلك الهجرات إلى ظاهرة إستيطان أينما طاب المقام (3) . والجدير بالذكر أن المهاجرين كانوا من الشباب القادرين لمشقة الترحال والعمل المتواصل في مناطق الاستقرار المؤقت أو الدائم .

كانت معظم رحلات السودان الغربي إلى الحج تأتي عبر سودان وادي النيل ، وقد اجريت دراسات دقيقة لحصر نسبة الحجيج الذين يستقرون في السودان بعد عودتهم فكانت أكثر تلك الهجرات هي هجرة الهوسا حيث انطلقت أول قافلة للحجيج من ولايات الهوسا عبر سودان وادي النيل في القرن الخامس عشر الميلادي ، وهذه الرحلات كانت تستغرق سنوات عديدة مما ادى لاستقرار بعضهم بصفة دائمة في السودان ، ومن المجموعات المرافقة لهم البرنو والكانوري ،

[2] - تاريخ سودان وادي النيل ، شوقي الحيل ، القاهرة ، مكتبة أنجلو المصرية1969م ، ص191
[3] - محمد العوض جلال الدين وآخرون ، مرجع سبق ذكره ص92 .

وحسب التقارير الإحصائية التى وردت ، فإن نسبة التعدد السكاني أفادت بأن ثمانية ألف من هذه المجموعات تعد إلى الحج سنوياً عبر السودان ولايرجع منهم إلا 28% ، فتستقر حوالي خمسة الف منهم في السودان في كل عام ، حتى صاروا مجموعة كبيرة في ولايات السودان المختلفة (4) ، هذه المجموعات انصهرت في المجتمع السوداني وتشربت ثقافاته كما نقلت ثقافتها وموروثاتها غلى المجتمعات التي ساكنتها ، كما كان لبعضهم أثر ثقافي وديني كبير ممن عملوا في مجال الدعوة الاسلامية ، كماهاجرت أعداد كبيرة من غرب إفريقيا إلى سودان وادي النيل قبل قيام الخلافة السكوتية والتي استمرت حتى قيام الثورة المهدية التي تعتبر واحدة من الأسباب التي دفعت وساهمت في زيادة هجرة سكان الإمبراطورية العثمانية ومن أهم هذه المجموعات التي هاجرت إلي السودان آنذاك وحتى قيام الدولة المهدية نتيجة لدوافع مختلفة هم البرنو والفلاتة والهوسا والسننوك والكانوري وغيرهم ([5]) .وتعتبر هجرة البرنو إلى السودان الشرقي أو النيلي قديمة خاصة وأنه لا توجد حواجز طبيعية أو حدود تفصل بينهما ،كما تعتبر هذه الهجرة نوعاً من الهجرات الداخلية فى الوطن الواحد.([6]) وبسبب هذه الرحلات استقرت عدد من الاثنيات في هذه المراكز بغرض التجارة أو العمالة ، وقد شكلت هذه الاثنيات نسبة مقدرة من سكان السودان الحالين.

[4] - Yusuf . F.H. the Arabs And the Sudan – Khartowm University press 1973 P-13

[5] - الطيب عبدالرحمن محمد، مرجع سبق ذكره ،ص332

[6] -محمد احمد حسين ، البرنو ومساهاتهم فى الحياة العلمية ،(2008) ،ص72.

المحور الثاني.

الاثر الديني للحج:

لاشك ان الحج هو اخر اركان الاسلام الا انه خلاصة جامعة لكل الاركان حيث تجتمع فيه كل مقومات الدين الحنيف لذلك يعد مؤتمرا اسلاميا يتكرر كل عام حيث يجتمع فيه المشاركين من حاج وحاجة بأعداد كبيرة فيعيش هؤلاء الجميع في اجواء روحانية و طمأنينة وانسجام تام يتوحد الاداء و التوجه و الحركة و كذلك المكان و الزمان و الاخلاص لله سبحانه وتعالي و طلب المغفرة و الرزق ([7])

من المعروف ان للحج دروسا وعبرا واسرارا عظيمة بعضها ظاهر و مشاهد و بعضها الاخر علمه عند الله و لعل من اعظم مظاهر و اثار الحج المهيبة الوحدة العامة في اداء المناسك و التنقل بين المشاعر طاعة لله و استجابة له و تحقيقا للركن الخامس من اركان الدين الحنيف مع اخلاص النية في ذلك .(2) كما تظهرالمساواة وتذوب الفوارق وتنبذ الخلافات وتتساوي الاجناس والاعراف كما يزول التباين بين الغني و الفقير و الرئيس و المرؤوس و الحاكم و المحكوم فالكل علي صعيد واحد بلباس موحد متجهين الي اله واحد . فالحج يذكر الحجاج بيوم القيامة ويوم الحشر العظيم والتذكير بان الدنيا فانية و العمر قصير مهما كان وعليه يجب أن يزول الغرور(3).

عند الحج يتجه جميع الوفود الي مكة حيث يرددون هتافا واحدا(لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد و النعمة لك و الملك) هذا النداء فيه التوحيد الخالص لله سبحانه و تعالي والانقياد له بالطاعة والاستسلام التام و الذكر والشكر مع التوحيد

---

[7] جريدة الرياض (هي لنا دار) مقال ، منافع الحج والعمرة الدينية والاقتصادية والسياحية ، اكتوبر2013م wwwalriyad.com

2 ـ القال نفسه .

3 ـ محمد المصطفى أبو القاسم ، هجرة التكارير واستيطانهم ببلاد السودان الشرقي ، رسالة ماجستير منشورة جامعة الخرطوم كلية الآداب ، (1999م) صـ4 – 5 .

4 ـ المرجع نفسه ، ص6 .

.

والتمجيد. ان مناسك الحج تعلم الناس النظام و الترتيب و الدقة و المتابعة و الموالاة و الطاعة (4).

في الحج يتعارف المسلمون ببعضهم البعض و يتنافسون في التقوي و يتسابقون الي الخيرات طلبا لمغفرة الله وكسبا للرضا ورغبة في دخول جنانه ، كما يتوحد الناس و يبتعدون عن اسباب الخلاف و الجدل. و للحج اثار عميقة وجميلة خاصة عند طواف الحجاج حول الكعبة فانه مشهد بديع يدل على وحدة الكون و وحدانية خالقه بجانب أنه يمنح الفرد الشعور بالعزة و الكرامة المستمدة من الاعتزاز بالله لأنه اكبر من كل كبير و اعظم من كل عظيم .وفي الحج يكتسب المسلم ثراء معرفيا واسعا اضافة الي معرفة بعض الاماكن المباركة بجانب الالمام بعلم الفقه في الدين حتي يعبد ربه على بصيرة . (.[8])

الحج مؤتمر اجتماع و تشاور و تنسيق و تعاون بين المسلمين يتبادلون العلوم و المعارف و التجارب ويتجلى فيه اعظم مظاهر العناية بحقوق الانسان اذ وضع النبي صلي الله علية و سلم اعظم ميثاق لحقوق الانسان بقولة (ان اموالكم و دماءكم و اعراضكم حرام عليكم حرمة يومكم هذا في شهركم هذا وفي بلدكم هذا) . في الحج يتعود المسلم علي الصبر و التحمل حين التنقل لأداء المناسك ([9]).

المحور الثالث.

ج . الأثر الاقتصادي للحج والعمرة.

كانت لرحلات الحج والعمرة آثار اقتصادية كثيرة اسهمت اسهاما كبيراً في الاقتصاد السوداني ، حيث وفرت رحلات الحجيج عبر تاريخها الطويل أيدي عاملة لعدد من المشروعات في السودان

[8] ـ صفية صالح عيسى ، الحج في غرب افر يقبا دراسة تاريخية ، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الخرطوم كلية الآداب (1986م) ص169
[9] ـ المرجع نفسه والصفحة .

، كما أنها كانت ترافقها رحلات تجارية تتجمع في المراكز التي تصل اليها لتصبح اسواقاً رائجة للبضائع من مختلف بقاع العالم ، علاوة على ان تكاليف ورسوم الحج ونفقات الاعاشة والاقامة والنقل والخدمات لها اثرها في الجانب الاقتصادي . ([10])

يرجع تاريخ العلاقات الاقتصادية إلى الفترة التي إنتعشت فيها التجارة بسبب إنفتاح سودان وادي النيل لقوافل الحجيج من داخل وخارج السودان حيث كانت هذه القوافل تتجمع من اقصى بلاد الغرب الافريقي، فكان اهل غرب افريقيا يستخدمون في هجرتهم الطريق الغربي كهمزة وصل ورابط يربط بين إفريقيا الغربية الإسلامية والعالم الإسلامي الخارجي أي انه معبرا مهما إلى الأماكن المقدسة ،حيث سلك حجاج غرب افريقيا عدة طرق من سواحل غرب افريقيا واقاصي البلاد فتلتقي بعضها في تمبكتو التي تعتبر ملتقى الطرق تأتي من الشرق والغرب ([11])

ذكر الرحالة بوكهارت أن هذه الطرق جميعها تلتقي في مركز كبكابية عند دخولها دارفور حيث تعتبر كبكابية من أكبر مراكز تجمع قوافل الحج والتجارة في الغرب ، ثم تتفرع سيرا فتتجه بعضها شمالا عبر درب الأربعين إلي اسيوط ومنها تسير بعضها شمالا للوصول إلى الأماكن المقدسة ، وبعض القوافل تتجه شرقاً إلى كردفان ومنها إلى سنار فتمكث زمنا طويلا بها ثم تواصل سيرها شرقا نحو اثيوبيا وغندارا ومصوع الى البحر الأحمر أى أن هذا الطريق يتغير اتجاهه عند المحطات التي تمر بها القوافل حسب الظروف الأمنية والمؤثرات الخارجية ، فتمر فى مسيرتها الطويلة عبر البلاد الاسلامية ، ويتمكن خلالها المسافرون من ممارسة التجارة والسياحة وتلقى العلوم والعمل من أجل التزود لهذا الطريق الطويل الذي يستغرق اعوام، وهذا بدوره يساعد في انصهار بعض المسافرين في المجتمعات التي يمرون بها فيتأثروا بهم ويؤثروا فيهم . وخير مثال لذلك المستوطنات التي أقامها هؤلاء المهاجرين على طول الطريق الغربي من موريتانيا والسنغال

[10] ـ الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقتها بأهم المراكز بالشمال الافريقي ، الخرطوم ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، (1993) م ، ص96،
[11] ـ المرجع نفسه ، والصفحة ،

والنيجر وحوض بحيرة تشاد مروراً بوداي ، دارفور ،كردفان وسلطنة الفونج حتى أقصى شرق السودان ([12]) .

كانت هذه القوافل تجتمع في مركز انطلاق واحد وهي مدينة تمبكتو كما ورد ذكره ثم تتجه شرقاً برفقة العلماء والتجار والحرفين وطلاب العلم ، فكانت هذه القوافل تحمل منتجات الغرب من الذهب والرقيق إلى أسواق البحر الاحمر واسيوط، وتعود هذه القوافل محملة بالمنسوجات والعطور ومنتجات الشرق ، وقد سلكت طرق قوافل الحج عدة طرق إلى سواحل البحر الاحمر وازدهرت موانى عيذاب، السويس ،عدن ،جدة والقصير وهي من الثغور المصرية المهمةعلى البحر الأحمر وترجع أهميتها في أنها نهاية طرق القوافل عبر الصحراء الشرقية ومنفذ للحجاج والتجار العرب وفي ثغر سواكن تلتقي عدة طرق داخلية وخارجية وتجلب قوفل الحجيج الرقيق والمنتجات الحيوانية الى بلاد العرب ولأهمية سواكن ضمت الى الادارة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر[13]. هنالك طرق برية كثيرة تبدأ من غرب أفريقيا وتصل حتى موانى البحر الأحمر(14) . وتحتل ظاهرة الهجرة الوافدة من شرق وغرب أفريقيا إلى السودان أهمية كبرى وهى هجرة موجهة لعدة اهداف حيث دفعت مواطنين تلك الدول إلى الهجرة عبر الحدود واستقرارهم فى سودان وادي النيل وكان من أهم هذه الاهداف التجارة و أداء فريضة الحج.

أما الآثار الاقتصادية السالبة لهولاء الذين تخلفوا من رحلات العودة فأنهم لم يسهموا في النمو الصناعي كما حدث في أروبا في عصر النهضة بل ضيعوا فرص العمل للمواطنين السودانين فزادوا نسبة البطالة فتفشى الاحتيال والنهب بسبب الاجور المتندية للعمال والتي لا تقود الي زيادة الانتاج لانضمامهم للقطاع غير المنتج (15)

كما أن من أسباب هجرة أعداد كبيرة لسكان غرب أفريقيا مثل فولان والهوسا وغيرها لأنها ترتبط بصلات القربى والرحم بالمجموعات التي تقيم بالسودان او بالأحرى هاجرت في ازمان مبكرة

[12] محمد العوض جلال الدين واخرون مرجع سبق ذكره ص 39 .
[13] -شوقي الجمل ، مرجع سبق ذكره ص196
[14] - محمد العوض جلال الدين وآخرون ، مرجع سبق ذكره، ص 137.
[15] - البجة في السودان وتاريخهم الاسلامي عبدالرحمن عبدالحميد عمر ، ط2017 ، شركة مطابع العمل المحدودة 2017م ،ص 162.

وساعد هذا السبب في كثير من الهجرات التي حدثت من سكان غرب إفريقيا للسودان للازدحام في مناطق الإقامة

عندما سيطر الفاطميون علي مصر والشام والحجاز اهتموا بالقوافل القادمة وعاملوا التجُّار والحجيج معاملة حسنة ، فسيطرت ميناء عيذاب على تجارة الشرق الأقصى وأروباً خصوصاً عندما تدهورت الأحوال في الوجه البحري لمصر في عهد المنتصر بالله ، تحولت قوافل الحج والتجُّار إلى شبه جزيرة سيناء وشمال الحجاز وإلى طريق النيل . وبعد العدوان الصليبي للعالم الاسلامي اهتم الأيوبيون اهتماماً كبيراً بميناء عيذاب (16) .

فأدى الانتعاش التجاري الذي صاحب قوافل الحج غلى إنفتاح سودان وادي النيل للعالم الخارجي وترتب على ذلك الانتعاش الاقتصادي انتعاش علمي فتح الباب واسعاً للعلماء وطلاب العلم من العالم الخارجي كما جلبوا الكتب إلى داخل البلاد. كانت لهذه الهجرات دوراًكبيرا في التواصل الاجتماعي والتعايش بين السودان والعالم الخارجي (17)

كانت بعض الهجرات من غرب إفريقيا إلى سودان وادي النيل قبل قيام الخلافة السكوتية والتي استمرت حتى قيام الثورة المهدية التي تعتبر واحدة من الأسباب التي دفعت وساهمت في زيادة هجرة سكان الإمبراطورية العثمانية ومن أهم هذه المجموعات التي هاجرت إلي السودان قديماً وحتى في عصر الدولة المهدية نتيجة لدوافع مختلفة شعب البرنو إلى السودان الشرقي أو النيلي لأنه لا توجد حواجز طبيعية أو حدود تفصل بين بلاد البرنو السودان ، كما تعتبر هذه الهجرة نوعاً من الهجرات الداخلية فى الوطن الواحد.([18]) ويشير بعض الكتاب إلى أن منطقة (فتابرنو) التى تعنى بلغة الفور (البيض) كانت قاعدة عسكرية أتخذها ملوك برنو لحماية الجبهة الشرقية للملكة

[16] - الفلاتة في أفريقيا ومساهمتهم الاسلامية والتنموية في السودان ، الطيب عبالرحمن ، ط . دار الكتب الحديثة الكويت ، 1994م ، ص331.

[17] - Yusuf . F.H. Ibid P-31

[18] -محمد احمد حسين ، البرنو ومساهاتهم فى الحياة العلمية ،2008،ص72.

مماسبق يتضح أن وجود البرنو في السودان أمر طبيعى نتيجة للصلات القوية التى ربطت بين المنطقتين فكان الأستقرار منذ وقت طويل ([19])

المحورالرابع

د **الأثر السياسي للحج**

أن الدوافع والآثار السياسية للمهاجرين من ممالك غرب إفريقيا تمثلت في أن البرنو في إقليم تشاد قد تعرضوا لضغوط قوية من الاستعمار عقب سقوط دولتهم بدخول الاستعمار الفرنسي في منطقة بحيرة تشاد وسعيه الجاد في تنفيذ مخططاته مما دفع أهالي بحيرة تشاد إلى البحث عن مكان آمن، كما ان الوضع الأمني المتردي في كل سلطنات حوض بحيرة تشاد نتيجة للصراعات والنزاعات حول السلطة هذه السياسة التي مارسها السلاطين في إقاليم البحيرة ، كانت مسئولة عن هجرة أعداد مقدرة من سكان غرب افريقيا إلى السودان ([20])

إن الصراعات السياسية والعسكرية التي نشبت في الغرب الإفريقي منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي هي التي تسببت في هجرة جماعات كبيرة إلى السودان الشرقي والاستقرار فيه ، ففي عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد 1787- 1801م لجأ أحد أبناء السلطان صالح ابن خريفين سلطان ودّاي إلى دارفور واستقر بمدينة جديد رأس الفيل . وكان السبب في لجوئه الخوف على نفسه من أخيه السلطان آدم سلطان برقو. فقد كان من عادة السلاطين في ودّاي اقتلاع عيون كل المنافسين.([21])

ويقال إن أحد زعماء الفلان يدعى محمد عيسى كان قد شارك في غزوة فاشلة ضد تشاد في عشرينيات القرن التاسع عشر ولم يشأ أن يواجه ردود فعل ذلك الفشل فتحرك ومعه أتباعه نحو السودان الشرقي في عملية أشبه باللجوء السياسي وتمكن من الحصول على الأرض بعد موافقة

[19] ـ المرجع نفسه ص73.
[20]ـ كمال محمد عبيد ، العلاقات السودانية التشادية واثرها في نشر الثقافة العربية والاسلامية ، رسالة دكتوراه منشورة ، جامعة إفريقيا العالمية (2001م) ص 43 .
[21] ـ الرسالة نفسها ، ص45.

ملك سنار، فأقام مستوطنة الشيخ طلحة على الضفة الشرقية للنيل الأزرق 1830م. كما أن هنالك هجرة البرقو التي حدثت عندما غزا الفلان بلاد برنو و تم القضاء على الأسرة السيفية عام 1846م مما دفعهم إلى الهجرة نحو الشرق واستيطان بلاد السودان الشرقي.([22])

تعددت الدوافع وتنوعت الهجرات لدي قبائل غرب أفريقيا نحو السودان الشرقي منها .

الهجرة الجنسية وقد شملت فئة كبيرة من هذه العناصر التي هاجرت وانتشرت على نطاق واسع منذ زمن بعيد ولكنها الآن تعتبر حركة ضئيلة للغاية . وقد تأثرت دارفور و كردفان بها وهي هجرات إثنيات محددة للحاق بمن سبقوهم في الهجرة من اسلافهم واتباعهم.

– الهجرة الدينية يحمل لواءها المهاجرون من أجل تأدية فريضة الحج ويلاحظ أن المهاجرين إلى السودان من نيجيريا في طريقهم إلى الحج أكبر عدداً من نظرائهم القادمين من المستعمرات الفرنسية. أو خط الاستواء والمهاجرون من هذه المناطق لأغراض دينية .وكذلك الذين هاجروا لمناصرة المهدية في ارض الشروق(السودان) .

– الهجرة الاقتصادية وسببها اتساع فرص العمل الذي يستوعب منهم أعداد كبيرة.([2423])

هذه هي الدوافع وانواع الهجرات وهي مختلفة وأسبابها كانت موضوعية ساهمت في حدوث الهجرات الجماعية المستمرة بين بلدان غرب افريقيا وسودان وادي النيل في كل مراحل التاريخ ، ولكن هذه الدوافع والأسباب تختلف باختلاف الأماكن والأزمنة في البلدان التي قدم منها المهاجرين ، والمتتبع لتاريخ هجرات الشخصيات الإسلامية ذات الوزن السياسي و الديني من غرب أفريقيا يجد أنه في كثير من حالات الخلاف مع السلاطين تجد هذه الشخصيات ذريعة الحج للفرار من جور هؤلاء وغضبهم ومن هذا المنظور فقد هاجرت أعداد كبيرة من الغرب بينما نجد أعداداً

[22] ـ صفية صالح عيسى ، الحج في غرب افريقيا دراسة تاريخية (القرن التاسع عشر) رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الخرطوم ،كلية الاداب (1986) م ص 67.

[23] 1 – ابراهيم محمد احمد بلولة ،هجرة الفلاتة من غرب أفريقيا ودورهم التنموى بولاية سنار ص60 .

[24] ـ صفية صالح عيسى ، مرجع سبق ذكره ، ص48.

أخرى مثل النيجيريون هاجروا لدوافع دينية على وجه الخصوص الفولان والهوسا إلا أن نسبة كبيرة من هؤلاء لم يذهبوا إلى الحج فقد بقوا في السودان .([25])

اذا نظرنا لدوافع هجرة المهاجرين من ممالك بحيرة تشاد ، نجد أن البرنو في إقليم تشاد قد تعرضوا لضغوط قوية عقب سقوط دولتهم بدخول الاستعمار الفرنسي في منطقة بحيرة تشاد ، ومنذ بدأ الاستعمار في تنفيذ مخططاته ، تدافع أهالي بحيرة تشاد إلى البحث عن مكان الأمان .لأن الوضع الأمني كان متردياً في كل سلطنات حوض

بحيرة تشاد نتيجة للصراعات والنزاعات حول السلطة .

خاتمة :

إن الموقع الاستراتيجي للسودان جعله مركز تجمع لقارات العالم القديم كما جعله قبلة لاستقبال عدد من الهجرات الأفريقية الوافدة خاصة هجرة قبائل الحدودي المشتركة بين السودان والدول المجاورة له ، ونخص بالذكر الهجرات التي جعلت من السودان معبراً بغية الوصول الى الاماكن المقدسة ، حيث يربط بين هذه القبائل الوافدة صلات عرقية قديمة مما جعلت الهجرة للسودان أمراً ميسوراً وسهلاً، بالاضافة لطبيعة الحدود وسهولة عبورها ، والتى ترتبط بالناحية الطبيعية والاقتصادية من حيث المناخ وطبيعة الأرض مما أدى إلى تشابه ظروف المهاجرين من شتى الاتجاهات، إلى جانب المعتقد الدينى السائد بين سكان غرب أفريقيا بأن أرض النيل هى مكان ظهور المهدي المنتظر فيجب الاستقرار فيها وكذلك أن أرض السودان هى منطقة عبور بالنسبة للحجيج من سكان غرب أفريقيا إلى الأرض المقدسة ، ثم استقرارهم في المجتمع السوداني بعد رحلة العودة ، وكانت لهذه القبائل الوافدة بعد استقرارها أثر كبير فى الاقتصاد السودانى خاصة من خلال عملهم فى التجارة والزراعة كعمال وفي الصناعات الصغيرة .أما أثرهم فى الجوانب الاجتماعية فقد كانت ملموساً من خلال انصهارهم في المجتمع السوداني بمختلف اثنياته وتشربهم للثقافة السودانية وقد إسهموا إسهاماً كبيرا في الجانب الاجتماعي

[25] ـ المرجع نفسه ، ص52.

النتائج :

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها

ترتبت على حركة رحلات الحجيج عبر الاراضي السودانية عدد من الآثة ارالايجابي (كالدينية الاجتماعية والاقتصادية) .

1-استقرت عدد من القبائل المهاجرة في السودان عند عودتها من الاماكن المقدسة لأنها وجدت بيئة جاذبة للاستقرار لتمارس النشاط الرعوي والزراعي بجانب وفرة فرص العمل في المشروعات المختلفة ، ففضلت البقاء مما انعكس سلبا على الجوانب الاقتصادية في السودان حتى في وقتنا الحالي بينما كان ايجابا بالنسبة لهم.

2-انصهر المهاجرون الجدد في المجتمع السوداني فتشربوا الثقافة السودانية بالمقابل نقلوا عاداتهم وموروثاتهم للمجتمعات التي ساكنتها.

3-انتعشت مدن ومراكز ومواني بسبب تجمع الحجيج والمعتمرين فيها وصارت لها اهميتها حتى وقتنا الحالي .

4- تكونت عدد من المستعمرات السكنية بسبب هجرات الحجاج الوافدين من غرب افريقيا في شتى بقاع السودان .

التوصيات :

1- توصي الدراسة المسؤولين القائمين بأمر الحجاج بضرورة الاهتمام بهم لأنهم ضيوف الرحمن وقادمين من اقصى بقاع الدنيا لأداء الفريضة .

2- جرت العادة أن السلاطين والحكام المسلمين كانوا يهتمون بالاماكن المقدسة ويرسلون الكسوة والصرة والمحمل في كل عام يتضمنها اموال لرعاية الحجاج وطلاب العلم ويوفرون كل اسباب الراحة للحاج فعلى الحكومات اعادة هذا الامر

.3- ضرورة مساعدة الحاج والمعتمر بتقديم الدعم اللازم وتخفيض الرسوم المفروضة حتى يتسنى له اداء الفريضة .

قائمة المراجع :

1. إبراهيم محمد أحمد بلولة، هجرة الفلاتة من غرب إفريقيا ودورهم التنموي في سنار الخرطوم ، دار الخرطوم، (1986م)

2. شوقي الجمل تاريخ سودان وادي النيل ، ، القاهرة ، مكتبة أنجلو المصرية1969م)،

شريف محمد شريف, توطن العناصر الأفريقية الغربية في السودان .المجلد 24،ج2،جامعة القاهرة،1996

3 . الطيب عبد الرحمن ، الفلاتة في أفريقيا ومساهمتهم الاسلامية والتنموية في السودان دار الكتب الحديثة الكويت ، 1994م.. ،

4 . عبدالرحمن عبدالحميد عمر، البجة في السودان وتاريخهم الاسلامي ، شركة مطابع العمل المحدودة 2017م

5 . عبد الرحمن عمر الماحي. تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال .المكتبة المصرية للكتاب،1983م

6.كمال محمد عبيد, العلاقات السودانية التشادية وأثرها في نشر الثقافة العربية والإسلامية ،رسالة دكتوراه منشورة ،جامعة افريقيا العالمية،2001م.

7- محمد العوض جلال الدين وآخرون ، الهجرة الوافدة إلى والهجرة الداخلية في السودان ، مكتبة جامعة الخرطوم (د، ت)

8 – يوسف فضل حسن دراسات في تاريخ السودان وافريقيا وبلاد العرب ، سوداتل المحدودة الخرطوم ، 2007م .

9 . محمد المصطفى أبو القاسم. هجرة التكارير و استيطانهم ببلاد السودان الشرقي فيما قبل القرن العشرين .رسالة ماجستير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الاداب،1991م.

10– محمد أحمد حسين عبد المجيد ، البرنو ومساهماتهم فى الحياة العلمية والاجتماعية الخرطوم ، دار العملة (2008)

11. يوسف فضل حسن ، دراسات في تاريخ السودان وافريقيا وبلاد العرب ، الخرطوم (2007م) .

Yusuf . F.H. the Arabs And the Sudan – Khartoum University 12 press 1973 P–13

13. جريدة الرياض (هي لنا دار) مقال منافع الحج و العمرة الدينية والاقتصادية والسياحية اكتوبر 2013م wwwalriyad.com